مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد11/ العدد: 01 (2022)، ص: 515-526

العرس كطقس عبور بالمجتمع الجزائري الراهن مقاربة سوسيو أنثروبولوجية

The wedding as a rite of passage in the current Algerian society, a socio-anthropological approach

بومخلوف نصيرة[1]، رميتة أحمد[2]

[1] مخبر التغير الإجتماعي، جامعة الجزائر 2(الجزائر)،

nacera.boumakhlouf@univ-alger2.dz

[2] مخبر التغير الإجتماعي، جامعة الجزائر 2(الجزائر)،

ahmed.remita@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2022/12/08 تاريخ القبول: 2023/02/08 تاريخ النشر: 2023/03/05

ملخص:

سنحاول في هذا المقال التعرف على ممارسات وطقوس العبور من خلال العرس، حيث احتفالية العرس تعطي لهذه الطقوس طابع الرسمية بداية من الخطبة وصولا إلى الزفاف.

تعتبر هذه الطقوس مهمة لأنها تعد انعكاسات لثقافة المجتمع، وهي قادرة على خلق الترابط الإجتماعي. وحاولنا فهم ديناميكية الطقوس من خلال الأفعال الطقسية والأداء الرمزي.

فطقوس العبور عبارة عن عملية والمرجعية الثقافية التي تعبر عن إنشاء هوية وقيم المجتمع الجزائري التي يتم تأكيدها من طرف الأسر الجزائرية.

كلمات المفتاحية: الطقوس، الزواج، الزفاف، التغير الإجتماعي، طقوس العبور، الإحتفال.

Abstract : In this article, we will try to identify the practices and rites of passage through the wedding, as the wedding celebration

gives these rituals an official character, from the engagement to the wedding.
These rituals are important because they are reflections of a community's culture and are able to create social cohesion. We tried to understand the dynamics of ritual through ritual actions and symbolic performance.
Keywords : rituals, marriage, wedding, social of change, rites of passage, celebration

***المؤلف المرسل:** بومخلوف نصيرة

1. مقدمة

تعتبر الأسرة الدعامة الأولى التي يستمد الفرد منها تقاليده وأفكاره وثقافته، وهي الوحدة الإجتماعي الأولى التي تساعد في تكوين شخصيته عن طريق التلقين والتقليد، لذا هي أهم المؤسسات الإجتماعية المسؤولة عن خلق وتكوين جيل من الأبناء.

تعد الطقوس الممارسة في احتفالية العرس التي تتسم بمكانة ودور في تشكيل الهوية الجمعية للفرد، لهذا نجد معظم هذه الطقوس "عبارة عن "طقوس العبور" حسب فان جينب (1909م) فكل إنسان حسب نظرته، يمر بمراحل عدة خلال حياته وتتواكب هذه التحولات بطقوس مختلفة طبقا لكل مجتمع". (بونت، وإزار، 2011، ص 634)

تعتبر الممارسات الطقوسية المتعلقة باحتفالية العرس أو الزواج في ظل التغيرات السوسيوثقافية تشكل حتمية وضرورة تثير مجموعة من الاستفسارات في الدراسات الإجتماعية والأنثروبولوجية وكذلك للوقوف على مدى تغير وثبات هذه الممارسات الطقوسية التي لازالت بعض الأسر متمسكة بها، وبمضامينها الرمزية، لذلك فهو يعد أسمى النظم الإجتماعية.

الإشكالية:

الطقوس الإحتفالية تُعد انعكاسات لثقافة المجتمع وترابطه وتماسكه الإجتماعي، حيث تقوى ثقافة الأفراد وتمركزهم حول تقاليدهم وعاداتهم وتراثهم الثقافي. ومن أهم الطقوس المهمة في مجتمعنا الجزائري طقوس الخطبة والزواج وغيرها من طقوس العبور . التغيرات التي مست جميع جوانب الحياة الثقافية والإجتماعية إلا أننا لاحظنا وجود بعض العناصر الثقافية ثابتة.

تعد الطقوس أهم عامل في صنع وتشكيل طبيعة العلاقات الإجتماعية. كما يعد الإحتفال بالعرس ظاهرة اجتماعية ثقافية لها ارتباط قوي بالنظام الإجتماعي المرتبط بالمدينة، كما أنها عبارة عن فضاء للتنفيس والترويح، وتساهم في الحفاظ على العادات والتقاليد.

تعد المرأة العنصر الفاعل الأساسي المنظم لهذه الطقوس من خلال تمسكها بالعادات والتقاليد الخاصة بالأعراس.

فهل يمكن القول بأن الطقوس والممارسات الإحتفالية خلال العرس تلعب دورا في ظهور ثقافة استهلاكية من أجل الحفاظ على التمايز الإجتماعي؟

المعالجة النظرية للطقوس:

ونقصد به ماهي النظرية الأقرب لدراسة الموضوع، لأن الموقف العلمي والمنطقي يتطلب اختيار إطار نظري لدراسة طقوس العرس في المجتمع الجزائري، ومن بين المقاربات المختارة هي:

نظرية مارسيل موس:

ساهم في مواصلة عمل دور كهايم وأظهر في الوقت نفسه افتراقه عنه، فأزاح تحليل الطقسي ليضع في مركزه ذلك المتعلق بـ "التضحية" ويمكن أن يتسع ليشمل كل المفاهيم: الفدية (الصفح) rachat، الألم peine، الهبة le donالتي يحتويها،

يتموقع الطقس في النهاية في فعل الاعتقاد بتأثيره عبر ممارسات طقوسية ترميزية بما فيهم طقوس العرس. (سيغالا، د.س، ص ص 54-55)

نظرية طقوس العبور:

يعتبر عالم الفلكلور "أرنولد فان جنب" أول من تكلم عن طقوس العبور ويقول في شأن ذلك: "وقد تكون هذه المرحلة متعددة وكل واحدة منها جد معقدة وتمتد إلى سنوات طوال، كشعب التواد بالهند، كما قد نجدها أقل عدد وأبسط ونميز وجودها بسهولة في المجتمعات غير البدائية". (Van Gennep, 1909, p.14) ويرى فان جنب أن الطقوس من أهم العوامل التي تساعد الفرد "على تقسيم الزمان إلى سنوات وأسابيع من خلال الإحتفال بأعياد الميلاد والذكرى السنوية". (مالوري، 2009، ص 235) ويظهر لنا جليا أن فترة الخطوبة تمثل الطقوس الهامشية والإحتفال بالزفاف يمثل طقوس الإدماج وهو تأكيد تغيير حالة أو انتقال إلى حالة أخرى، فيعتبر الزواج أساس فعل اجتماعي، ولا يغفل العامل الاقتصادي وتأثيراته عليه، فهو يعتبر المهر نوعا من التعويض للجماعة التي تتخلى عن أحد أفرادها. لذلك فالطقوس تتألف من مراحل مهمة هي: الانفصال، عتبة الشعور، والإندماج. (الجوهري، 1988، ص 70)

تحديد المفاهيم:

1- الطقوس:

يندرج الطقس في الحياة الإجتماعية بعودة الظروف التي تستدعي إعادة القيام به، وهو يتسم بآليات يفترض تفعيلها لكي يفرض طابعه على الإطار الذي يساهم تدخله في تحديده، كما تتسم الآليات الطقوسية بالمفارقة أكثر من التعبير، يختلف الطقس عن تلك التظاهرات ذات الطاقة الرمزية التي هي الأعياد والمناسبات والإحتفالات، أي جميع العادات التي تحمل الطابع الفردي والجماعي، وإذا كان الطقس مندرجا في تلك التظاهرات فإنه يشكل عموما لحظاتها القصوى التي تنظم حولها مجمل

الإنتشار الإحتفالي الذي يمكن أن يسمى عندها – طقوسيا –. (بونت، 2011)

ويعتبر الطقس كذلك محتوى دلالي لـ: الطقس، الطقسي، الإحتفال، العيد؟ إذا اتبعنا عالم اللسانيات "إميل بنفنيست" فإن الأصل الاشتقاقي لكلمة "طقس" Rite يأتي من Ritus التي تعني "نظاما موصوفا"، وهذا المصطلح مرتبط بالصيغ الإغريقية كـ Artus الذي يعني "وصفة"، "ararisko" "نسق" الذي يستدعي العلاقة والاتصال، فإن الأصل الاشتقاقي للكلمة يدفع التحليل نحو نظام البشر فيما بينهم، والقراءات الدلالية للمصطلح عديدة، سواء تعلق بـ "الإحتفال" المصطلح الذي يحيل على الطقوس المدنية التبجيلية، وبالتالي ذي الأصل الدنيوي بالقدر نفسه كما تنتمي للديني. (بونت، 2011)

2- الزواج:

يعتبر الزواج ظاهرة معقدة ومتشابكة تستمد خصائصها من عادات وتقاليد المجتمعات. وبذلك يمثل اقتران الرجل بالمرأة على سبيل الدوام والإستمرار، (محدة، 1994، ص 85) كما يعبر عن الجمع والضم والتداخل. (كحالة، 1985، ص 6). ويعرفه "ويستر مارك" أنه عبارة عن اتحاد رجل وامرأة اتحادا يعترف به المجتمع عن طريق حفل خاص. (الأخرس، 1976، ص 174) وينظر إلى الزواج على أنه ينشأ من أن الذكر والأنثى كل واحد منهما وحدة ناقصة لا يستطيع الإستمرار في الحياة، فهو رباط مقدس يجمع بين رجل وامرأة من أجل إشباع الغريزة الجنسية، وتأسيس الأسرة، ويتم هذا وفقا لما ترتضيه ثقافة المجتمع وقيمه ومعاييره المرتبطة بالزواج. ويتم الزواج باحتفالية الزفاف أمام الملأ من أجل أن يكتسبه طابع الإعلان والإشهار والمشروعية.

3- العرس:

وهو الحدث الذي يرافق الزواج، هو الإعلان الرسمي عن قيام هذه المناسبة في ظل موكب من طقوس وأجواء وأهازيج احتفالية، وما يتخللها من رموز وعادات متوارثة في المجتمع، هذه الممارسات تجمع بين الأفراد والجماعات وهي في جوهرها عبارة عن عادات جماعية مُورست في مناسبات مختلفة. (الخشاب، د.س، ص 213)

وكذلك ترابط الجماعة، وترك انطباعات خاصة في نفوس الحاضرين تؤكد قيما خاصة تهم الجماعة ونظامها الإجتماعي. (ذياب، 1980، ص 182).

4- التغير الإجتماعي:

إن الإهتمام المبكر والمستمر من قبل المفكرين الذين ساهموا في إطراء موضوع التغير الإجتماعي وذلك تبعا للاتجاهات الفكرية والإيديولوجيات السائدة في المجتمع، فهو الذي يطرأ على العلاقات الإجتماعية وعلى البناء الإجتماعي في الوظائف والقيم والأدوار الإجتماعية خلال فترة محددة من الزمن، ويعتبر جزء من التغير الثقافي الذي يشمل جميع التغيرات التي تحدث في أي فرع للثقافة كالفن والعلم والتكنولوجيا إضافة إلى التغيرات التي تحدث في أشكال التنظيم الإجتماعي وقواعده، وبذلك يكون التغير الإجتماعي نتيجة من نتائج التغير الثقافي. (بن جابر، 2004، ص 157). ويمكن تعريفه على أن التغير الإجتماعي هو كل تحول يقع في مجتمع من المجتمعات، ويصيب تركيبه أو بُنيانه الطبقي أو نظمه الإجتماعي أو القيم أو المعايير السائدة أو أنماط السلوك، وقد يكون التغير ماديا يستهدف تغير الجوانب المادية والتكنولوجية، أو معنويا يكون التغير في قيمهم وعاداتهم وسلوكهم. (حسن، 1964، ص 49)

4- طقوس العبور:

تعتبر من أهم الخطوات أو المراحل الهامة في حياة الفرد بحيث تنطوي على مراسيم احتفالية تُمكن الفرد من الانتقال من وضع الوضع آخر، وظهرت هذه العبارة للمرة

الأولى على لسان فان جنب سنة 1909م، فكل إنسان يمر حسب نظريته بمراحل عدة خلال حياته، وتتواكب هذه التحولات بطقوس مختلفة طبقا لكل مجتمع، ويمكن تعريفها بأن"سوف نركز في هذا البحث على تلك المراحل الانتقالية التي ينتقل من خلالها الأفراد عبر دورة الحياة من الحمل إلى الميلاد إلى الطفولة، والبلوغ فالزواج ثم الوفاة وما يصاحبها من عادات وتقاليد وشعائر واحتفالات". (الجوهري، 2002، ص 297) ونرى أن هذه الطقوس تتكون من ثلاثة أجزاء أو مراحل: أولها انقطاع العابر، ثانيها الهامشية أو العتبية وهي حالة وسط بين المرحلتين السابقة واللاحقة والمرحلة الثانية هي إعادة الإندماج والعابر في هذه المرحلة يحرز مكانة ثابتة معينة وترى "مرفت العشماوي" من خلال دراسته النظرية أرنولد فان جنب حول طقوس العبور، "وما يصاحب هذه الطقوس التي صنفها إلى ثلاثة مراحل: شعائر الانفصال، والشعائر الهامشية، ثم شعائر الإندماج أو الدخول أو التجميع"، (الجوهري، 2002)، فهذه هي الأنماط الطقوسية التي تسمح بالانتقال والتحويل والتمويل من مكانة اجتماعية إلى أخرى.

التحولات المجتمعية بالمجتمع الجزائري الراهن:

عندما نتكلم عن التحولات المجتمعية يجب أن نتكلم عن التغير الإجتماعي والثقافي، وعلينا ربطه بعامل مهم ألقى بظلاله على كل نظم ومناحي الحياة، إنها العولمة التي تصبغ بصيغتها كل شيء وأي شيء، أي هي قمع وإقصاء للخصوصي والذاتي، وهي إرادة لاختراق هذا الآخر وسلبه خصوصيته، وبالتالي نفيه من العالم، (الجابري، 1998، ص 20) فهي ثقافة جديدة لم يشهد التاريخ مثيلا لها من قبل، فتخترق الهوية الثقافية للأفراد والجماعات والأمم، وتعتبر ثقافة سمعية وبصرية، تصنع الذوق الاستهلاكي اقتصاديا، والرأي العام سياسيا، وتشيد رؤية خاصة للإنسان والمجتمع والتاريخ، (الجابري، 1998) فالزواج في الماضي كان يتمتع بصفتين أساسيتين هما الزواج المبكر وزواج الأقارب ويكون الزواج في سن مبكر بسبب الدافع

الديني والخلقي الذي يتبلور في الاقتداء بالدين الإسلامي، إضافة إلى هذا الزواج يحقق الإشباع الجنسي من أجل صيانة شرفهما وشرف أهلهما، ممّا يساهم في الحفاظ على التماسك العائلي والإعتداد **بالعصبية الأسرية**.

أما زواج الحاضر، فإنه يتميز بالتأخر في السن، نظرا للكلفة الغالية التي يتطلبها عقده بسبب تراجع فرص العمل والسكن مقاربة مع مطامح الناس المتزايدة في الإستقلالية عن أسرهم، فأصبح ينظر إلى الزواج في الماضي التي أصبح ينظر إليها على أنها تقليدية مرتبطة بزمن لم يعد ملائما لهم متماشيا مع التطورات الحاملة في المجتمع، فالتعليم إذ يلعب دورا هاما في التغير الإجتماعي، فهو أداة للتغيير المناسب عبر الأجيال والأفراد والجماعات. (محجوب، 1981، ص 187)

طقوس العرس:

إن نظام العرس في المجتمع الجزائري الحضري يتم بصفة عامة بشكل تقليدي عصري نظراً لسيطرة العادات والتقاليد، فأصبح العرس يتضمن مظاهر تقليدية كاللباس، وعصرية كشهر العسل وموكب السيارات وغيرها. (كسال، 1986)

طقوس الخطبة:

تعتبر الفترة التي تسبق عقد الزواج بصفة رسمية، وهي مرحلة تحضيرية لتوثيق العلاقة بين الأسرتين، ويعتبرها "فان جنب" أنها الفترة السابقة للزواج، وهي فترة هامشية وتتضمن في طياتها شعائر الإنفصال والإندماج، هذه الرابطة الإجتماعية مهمة جدا للمخطوبين، لهذا تعكس مظاهر الإحتفال بالخطبة الكثير من مظاهر الإندماج والإرتباط العائلي عن طريق الإعلان عن يوم الخطبة وخاتم الخطوبة، ووظيفة الإعلان هدفها إعلان للمجتمع عن وشك اقتران اثنين برباط الزوجية، لأن الإرتباط هام جدا لذا كانت حتمية الإعلان، عن طريق الحفل وتقديم الهدايا حيث تتمايز الطقوس المرتبطة بالخطية من جماعة لأخرى، ويهدف هذا الحفل إلى تقديم الفتاة وأهلها إلى العائلة الأخرى. (صالح، 1972، ص 55) لهذا قد تؤدي

الخطبة وظائف هامة، تعطي للخطيبين الفرصة للإختيار الشخصي المتبادل دون تهديد أي طرف، مما يجعلها أكثر توقع للصفات المشتركة والمختلفة، ووسيلة للإرتقاء بالصداقة والمحبة كضمان لتأسيس زواج سليم يتماشى مع التغيرات الإجتماعية في القرن العشرين.(حسن السعاتي، 1981، ص 36)

الهدايا المناسباتية (المهيبة):

الهبة أو الهدية يتبادلها الأقارب والأصدقاء في العرس، حيث نجدها موجودة في معظم المجتمعات العربية بما فيهم المجتمع الجزائري، هذا كما حث الرسول صلى الله عليه وسلم لاعتبارها عامل من عوامل نشر المحبة والتضامن الإجتماعي سواءً بين الأقارب أو الجيران أو الأصدقاء في قوله "تهادوا تحابوا". كما درست الهبة من طرف السوسيولوجيين والأنثروبولوجيين على رأسهم "مارسال موس" من خلال بحثه ودراسته عن دور الهبة فيقول: "تتم التبادلات والتعاقدات داخل الحضارة على شكل هدايا، نظريا بطريقة اختيارية لكنها في حقيقة الأمر إلزامية". (Mauss, 1989, p.147) كما وجد موس أن الهبة أو الهدية تلتزم بثلاث عناصر إلزامية وهي العطاء وقبول العطاء، والرد عليه، مما يؤدي إلى نشوء علاقات مزدوجة بين الواهب والموهوب، (Gedelier, 1996, p. 20) كل هذا نجده في مناسبات من بينها المهيبة، فنجد أن أهل العريس ملزمين بتقديم هدايا في مناسبات من بينها عيد الأضحى وذلك بتقديم هدايا مختلفة وحلويات وجزء فخذ أو الكتف من الأضحية، وفي عيد الفطر تقديم عطور، إكسسوارات، وكذلك هناك عائلات حتى في المولد النبوي والعاشوراء بتقديم المهيبة، كما أنها تلعب دورا يكمن في أنها تستخدم كوسيلة لبناء أنماط أو أنواع من العلاقات الإجتماعية، بل أكثر من ذلك فإن هذا التبادل يُعد نظاما للمساندة الإجتماعية. (مجموعة من الباحثين، د.س، ص 297)

طقس المهر: "المهر هو ما يدفعه الزوج لزوجته وله أسماء عديدة كالنحلة، الفريضة،الأجر، العقد، الصداق، الصيغة". (Dib, 1984, p. 33)، فقضية المهر

كما ترى "شفيقة معروف" نقل اجتماعي يكرس من خلال ممارسة الهرمية الإجتماعية والتمييز بين الجنسين وهو يضمن المرأة ويعاقب الزوج في حال الطلاق والطرد، ويبقى مؤسسة اجتماعية وقانونية قوية، فتكوين الرابط الزوجي هو رابط للعلاقات الإجتماعية يبلوره المهر. (جغلول، 1973، ص 171)

مراسيم خروج العروس إلى بيت الزوجية:

تنطلق الإستعدادات للعرس مباشرة بعد الخطوبة، فتكون أخذت طابعها الرسمي، وقراءة الفاتحة كتزكية من الرّب عز وجل ليبارك هذا الزواج، لأن حسب المثل الشعبي "**الزواج ليلة وتدبيره عام**"، فالعرس يتطلب مصاريف كثيرة يجب توفيرها ويتطلب مجهود وتعب من التحضيرات لكلا الطرفين.

نجد أن المرأة تحرص على الإهتمام بجسدها، فنجدها بعد الذهاب للحمام من أجل الإستحمام بالماء واستعمال الأزهار والبذور لما لها من رمزية أن حياة العروس تكون مثل الأزهار لها حياة سعيدة. انطلقت الزغاريد غير عادية، زغاريد رناتها تحير الأذان بين الفرح والحزن ... بين الأمل والفزع ... بين التردد والثقة، تبعث في الأجسام قشعريرة أقوى من التي يحدثها البرد. يجب على العروس أن تمتثل للطقس والمتمثل في وقوف الأب عند العتبة باسطا ذراعه الأيمن، فتخرج العروس تحت ذراع أبيها أوجدها أو العم أو الخال أو الأخ. فبالتالي العروس خضعت لطقس المرور وخروجها من مرحلة العزوبة إلى مرحلة الزواج. وله رمزية أي خروج الفتاة من عصمة أبوها، وما نلاحظه حزن العروس الظاهر في القبلة والضمّة لأبيها والنظرة الحانية والدمعة، فهناك رمزية لبكاء العروس على فراق أسرتها من الأب الذي تعب على تربيتها والأم التي غمرتها بحنانها فهو إحساسا مثل الأحاسيس الأخرى فهو وسيلة للتنفيس والتعبير، فإن بكاء العروس ضمان لإستمرار الرخاء والمطر والإخصاب في موطن الجماعة الحاملة لهذا المعتقد، فهناك تقارب بين الدموع والمطر، وظهور الفرح، وهذا دليل على الخير والبركة. نجد أن موكب العروس فخم وجميل، فأغلب

السيارات من الطراز الجديد، وسيارة العروس مزينة بالأزهار، تخرج العروس مغطاة بلباس الحايك أو البرنوس الأبيض ملفوفة بالأبيض كالحمام وكذلك تواجد دراجات نارية ترافق موكب العروس يشبه ويذكرنا بموكب الرئيس، وإستبدال البارود بالمفرقعات، وإرتفاع الزغاريد التي تعتبر من طقوس الإحتفالات التي تدل على الفرحة وتسمى"باليويو" أو "التوالويل" حيث يرى"هيرودوت" أنها نوع من الصياح الطقوسي التي كانت تقوم به نساء الإغريق في المعابد. عند الوصول إلى قاعة العرس، تدخل ويرافقها جميع أقربائها تحت أنغام الزرنة، فتستقبلها أم العريس أو أحد أقربائه بالتمر والحليب حسب المثل القائل: "التمر والحليب ما يأكلهم غير الحبيب" فلون الحليب يرمز إلى الصفاء. إضافة إلى طقوس أخرى من بينها رشهم بالعطر.

طقوس زفة العروس:

تتضمن الطقوس والممارسات الإجتماعية المقترنة بها جملة من المعاني والرموز الثقافية التي تستوجب تأويلها، لهذا تعبر الطقوس عن القيم والمعاني والمعتقدات السائدة في مجتمعات معينة، وتقوم بمهمة دمج الفرد بطريقة أشد إحكاما في الكل الإجتماعي، يعد الإحتفال ظاهرة اجتماعية ومؤسسة عامة تقترن بها جملة من الطقوس والأعراف التي تلزم المضيفن باستقبال المعزوم استقبالا جيداً، لأنه لبى دعوة صاحب العرس، فمن طباع الأفراد حبه لمشاركة الآخرين أفراحهم سواء أكانوا أهلا أو أصدقاء. مع إحضارهم هدايا سواء نقود أو طواقم من الأواني، ولقد أكد هذا مارسيل موس في دراسته حول "الهيبة أو العطاء" (Le don)، كشكل من أشكال التبادل. ما لاحظناه في العرس تحول بعض المقربين من العائلة إلى "بودي قارد" يحيطون العروس والقاعة بمراقبة، ترصداً لأي محاولة سحر أو شعوذة.

نلاحظ دخول العروس إلى القاعة تحت أنغام الزرنة،حيث تحظى بالإهتمام الكبير بما أنها الشخصية اللامعة والمهيمنة فهي محل الأنظار في الحفل بلباسها الأبيض و"البرنوس" يستر جميع جسدها من الرأس حتى القدمين فاللون الأبيض له دلالات

رمزية واجتماعية فهو رمز للطهارة والفرح والصفاء، يرافقها أبوها أو أحد أقربائها إلى مكان جلوسها. مع وجود معها امرأة ترافقها طيلة العرس تسمى "الماشطة" [هي السيدة التي تتكفل بإلباس العروس] تتكفل بلباس وزينة العروس، ترفع الغطاء على وجهها لتبدأ رحلة العروس في التصديرة،ما لاحظناه أن كف العروس مخضب بالحناء، تعتبر من أهم الممارسات الإحتفالية الرمزية التي تُحضر فيها الحناء والغاية منها ضمان الخصوبة وحمايتها من العقم، أي لها وظيفة وقائية، "وعند استعمالها تكون باردة في البداية ثم تيبس على الجلد". كما يعتبر العرس اهتماما أنثويا بالدرجة الأولى وعادة ما تقع مسؤولية الإعداد للحفل على النساء فهن المعنيات بتأكيد بالطقوس وبممارساتها. (ابن القيم الجوزية، 2001، ص 69) لكن يبذل جهدا كبيرا من أجل الإعداد للعرس، لكن اليوم النساء معظمهن موظفات لا يمكنهن الإهتمام بالمراسيم، خاصة مع ظهور أشخاص مختصين في تنظيم الحفل ممّا سهلّ المهام على المرأة".

رمزية فضاء العرس:

أصبح الإحتفال في قاعات حفلات متخصصة خاصة بعد التغيرات التي طرأت على حياة النساء واتساع مجال تفاعلها الإجتماعي عن طريق العمل أو الدراسة، مما أسهم في بروز عادات جديدة من بينها واختيار قاعة الأفراح، اعتبرت هذه الممارسة موضة جديدة كانت تقتصر على أصحاب المال، ولكن اليوم انتشرت وأصبحت تقوم بها كل العائلات، إلا أنها ليست ثابتة بل مرتبطة بفترة وبالحاجة التي وجدت لأجلها. يبدأ الحفل باستعراض العروس للباسها وتملكها جسدها. أما ديكور القاعة فهو مواكب للموضة والتجديد ما نلاحظه أن الاستهلاك المظهري طغى على العرس من أجل الوصول إلى التميز والتمايز الاجتماعي، ونقل الإشارات والرموز بين المستهلكين (أي الفاعلين الإجتماعيين الحاضرين في الحفل)، أما مصادر الديكور إمّا مستوحاة من المختصين في الديكور أو المتابعة على وسائط اليوتيوب والأنستغرام.

- **اللباس والتصديرة:**

ترتدي العروس الأزياء في يوم زفافها وتعرف بالجزائر باسم "التصديرة"،لذلك تكون متنوعة حسب التنوع الجغرافي في الجزائر، هذا ما يضفي تنوع ثقافي: بداية باللباس العاصمي "الكاراكو" يرافقه نوع الحلي والأحذية المناسبة، و"جبة فرقاني" المنحدرة من قسنطينة، و"جبة القبائل مع الفوطة والفضة،إضافة إلى الألبسة الغربية بفعل التثاقف والعولمة، فالزي يظهر مرتبة لابسه ومنزلته ومكانته بين الناس، إضافة إلى القفطان فهو له مكانة عالية لأنه لباس السلاطين فما نلاحظه أنّ هناك استمرارية للأزياء من أجل الحفاظ على تقاليد الأجداد،

وما نلاحظه أن الفتيات المرافقات للعروس تغيرّن ملابسهن كل مرة، بما يسمى إشبينات العروس هذا ما نلاحظ في الأعراس الغربية، فاللباس يتسم بأنواع الأقمشة وأجودها، مع وجود التطريز والحلي وأسورة وخواتم وخلخال حيث تم إحياء هذا النوع من الحلي ممّا يعطيها رمزية "بنت القاع والباع والخلخال يقربع"، أي أن المرأة تنحدر من أعرق وأشرف العائلات، أما الصوت الذي يصدر فهذا يدل على أن الفتاة ذات حسب ونسب ومال.

- **الطبوع الموسيقية:**

تتميز الجزائر بكثرة الطبوع الموسيقية ويكون تنظيم وترتيب الموسيقى حسب اللباس الذي ترتديه العروس وينظمه (DJ) منسق الأسطوانات، غلب الطابع المعاصر، فالموسيقى أيضا تعرضت وتأثرت بالتغيرات، فأدخل عليها بعض التعديلات، إلا أنها مازالت تحافظ على خاصيتها الأولى، "الموسيقى اليوم تغيرت، لكنها وصلت للعالمية خاصة طابع الراي، ومرافقة الموسيقى بالزغاريد والمرح والمشاركة في التصفيق والرقص معا يضفي الزهو والفرح في العرس، كما تكلمنا عن الموسيقى.

يعد الدخول المفاجئ للنساء من أجل الرقص والترفيه عن النفس، فهو العملية التي لا يتم الإتفاق عليها مسبقا أمام الكاميرا، والبدء في الغناء بأعلى الأصوات، مما

يعطيها إطاراً للعمل الجماعي من جهة والفردي من جهة أخرى، والذي يؤدي إلى تجانس في الحركات الجسدية والأصوات، وبالتالي تقوم بإنشاء حقلا للمعرفة والخبرة، وكذلك خلال الرقص نُلاحظ أن هناك تقليد أداء طقوسي من وسائل الإعلام أو يتم تناقلها بالوراثة بالنسبة للرقص التقليدي وتمّ تناقلها من جيل إلى آخر من بينها الرقص العاصمي أو القبائلي...إلخ.

خلال الرقص في العرس،نرى مجموعة كاملة من الأنشطة الإستهلاكية والإنتاجات المعروضة والربط بين الصورة والمنتج (CD والغناء)، لترسيخ العلامة التجارية، يخلق فضاء العرس أجواء مغرية وتمثيل مشاهد مسرحنة يراعون الجمال، الأنوثة،وهذا ما لاحظناه خلال العرس وخاصة المكان المخصص للرقص، فعملية الأداء داخل هذه المجموعة التي تطغى على حدود ذلك الفضاء الإجتماعي، من المهارات الجسدية والرسائل الرمزية اللازمة، فكل هذا يساعد في نقل وتحويل الأداء للحضور الجالسين وتحفيزهم على النهوض ومشاركتهن في الأداء، يجب الإشارة إلى أن أداء الرقص عن طريق المحاكاة في إعادة التمثيل الإثنوغرافي.

كل هذا وعلى الرغم من اختلاف الحضور ثقافيا واجتماعيا، فإن الإستمتاع والمشاهدة عمليات يندمج فيها جميع الحاضرين وتصبح جزءا من عالم المخيال العقلي الخاص بكل فرد من أفراد العرس، مع الحفاظ على خطواتهن بتناسب مع إيقاع الموسيقى وتزامنا مع كلمات الأغنية.

- **الأكل ورمزيته:**

ارتبطت الإحتفالات بالضيافة، فكان الطبق الرئيسي في العرس هو الطعام أو الكسكسي باللحم والخضر إضافة إلى الشوربة، فبفعل التغير الإجتماعي الراجع لعدة عوامل أصبح العرس أكثر تكلفة أصبح في قاعات باهظة الثمن، وآلية من آليات التباهي والتعبير عن المكانة الإجتماعية، وخلق تمايزاً اجتماعياً. فالأكل باعتباره فعل بيولوجي اجتماعي، يرتبط بالإرث الثقافي للمجتمعات، ويُعد عنصر كباقي العناصر الثقافية: الموسيقى، الرقص، اللباس، النمط المعياري وغيرها من العناصر التي تعكس الهوية الثقافية لكل مجتمع إنساني.

الأكل يمثل هويات الشعوب، فعندما تسمع بطبق الكسكسي تتجه أذهاننا إلى المجتمع الجزائري والمغاربي، وعلى الرغم من ذلك فمجتمعنا الجزائري يحافظ على الإرث الثقافي، وبالأخص أننا في عصر العولمة الثقافية وظهور ثقافة استهلاك جديدة، أدى إلى تحول ثقافة الأكل من النمط التقليدي إلى النمط المعاصر والعالمي، دون أن ننسى تأثرنا سواء بالمجتمع التركي وكذلك المطبخ الفرنسي. فهنا كعدة أطباق تطهى في العرس. وتم استبدال الكسكسي وأصبح يقدم كتحلية وشطيطحة لحم، المثوم، اللحم المحمر، الشربة، البوراك، شخشوخة، رشته، طاجين الحلو (يحضر بالفواكه الجافة)، ترافقها أنواع مختلفة من السلاطة، أما الحلويات الجزائرية مختلفة باختلاف مناطقها منها كعب الغزال، دزيريات، تشاراك، المشوك، ڤريوش، قلب اللوز، كعيكعات، مقروط اللوز، بقلاوة مع دخول عالم العرس المعجنات من بغرير، مسمن، الخفاف، إضافة إلى التحليات حتى طريقة الجلوس اختلفت، من الجلوس متربعين والأكل بالأصابع كما يوصينا ديننا الإسلامي، (السليماني، د.س، ص 58) أما اليوم الجلوس على كراسي حول طاولات ذات قوائم مرتفعة وأكثر فخامة دائرية الشكل، نرى التأثير التركي أثناء القرنين 16 و 17 وذلك في علاقة بالتوسع التركي، فكانت طاولة الأكل عبارة عن صينية كبيرة دائرية مصنوعة من النحاس

المقصدر. إضافة إلى الأواني المستعملة خصوصا الأواني الخزفية، وأستار النوافذ ووجود سجادات في الأرض، والقاعة مزخرفة كليا بالزهور، الأضواء، الألوان مما يعطي للأشخاص شعور بالارتياح.

- **فض البكارة:**

ليلة الدخلة في المجتمع الجزائري تمثل طقساً هو أقرب إلى طقس منح القرابين وهو طقس دموي، تناول "شبل مالك" قضية جوهرية تتصل بمعالم الجنس هي تابو البكارة في التصور الشعبي، فهي العلامة على خصوبة المرأة لذلك كانت موهوبة ومرغوبة في جميع الأديان، لذلك تتبوأ منزلة مهمة وتعتبر"ضربا من المعيار الإجتماعي يثمن كما يثمن المهر أو الإنتماء الإجتماعي". (شبل، 2007، ص 79)

إن سلامة البكارة شرط ضروري للزواج، فالفتيات تخشّين من احتمال افتقادهن لبكارتهن لأن "العفة النفسية غير كافية في غياب دليل مادي وحجة ملموسة يُؤكدها يوم الزفاف أو ليلة الدخول"، (شبل، 2007) وهو ما تنتظره كل العائلات، فالجسد البكر الذي تجاذبته"مقولات الفراغ والإمتلاء والدم المنساب دون توقف والمرتبط بمرجعية الألم والوجع"، (شبل، 2007) كما أن الجسد الذكوري يخاف من فرج المرأة حتى أنه يُشبه بالفرج العضاض لخاصيته الابتلاعية وخوف العروس من حجم القضيب باعتباره "مالكا" لعضو ذكوري عملاق، لذلك يجتاح عدد من الصبايا المقبلات على الزواج خوف من ألا يتناسب ذكر شريكهن الجنسي مع الحجم الصغير لفروجهن، وهو خوف يبرزه أن الذكر يجعل من عضوه التناسلي موضوعا للمفاخرة". (شبل، 2007) تعتبر ليلة الدخلة ليلة حاسمة في حياة العروسين وهي البداية الفعلية للحياة الزوجية، وفيها يتم أول اتصال جنسي بين الزوجين، في هذه الليلة تلبس العروس لباساً أبيضا أو ما يسمى بـ "القمجة" وهو لباس من قماش لين وخفيف يكون بدون ذراعين، فهو لباس يتسم برمزيته الإستثنائية، فاللون الأبيض له معانيه ومدلولاته الإجتماعية فهو رمز الفرح والصفاء، أما دم فض البكارة دليل

على "صفاء ذمة الفتاة" و"فحولة العريس". (قشي، 2007، ص 40) في صباحية العرس تتعالى الزغاريد والموسيقى وكذلك هناك طقوس أخرى يتم ممارستها من تكسير البيض حسب كل منطقة كل هذا دلالة على أن الزواج قد تمّ، وأيضا هو رمز على فقد العذرية يوم الزواج، فيتم إعداد مأدبة الغذاء، تقوم أم العروس بإحضار أنواعا من الحلويات: المقروط بقي محافظا على قيمته بالإضافة إلى أنواع مختلفة من الحلويات يتم توزيعها وترافقها سواء القهوة والشاي،فالحلاوة رمز للسعادة، كذلك توزيع التمر وبعض الثمار فلها مدلوليتها ورمزيتها،فهناك علاقة بين الثمار الناتجة عن الزواج. (الترمانيتي، 1984، ص 159)

نتائج:

- أصبح العرس عبارة عن مجتمع استهلاكي من حيث اختيار اللباس والإهتمام بالجسد،الذي يجد الأفراد فضاء إلى حب الظهور والتقليد والتميز بحكم الإختلاط ومحاكاة الغير في العرس.
- الهدية تساهم فلي التضامن الإجتماعي والعائلي، وهي إلزامية ونشوء علاقات مزدوجة بين الواجب والموهوب.
- تغير حفلات العرس ومصاريفه، واكتساب ثقافة معينة ناتجة عن تغير المجتمع،حيث أصبح الفاعل الإجتماعي ينتقد التقاليد والعادات ويغير الكثير منها ويقصيها ويعوضها بعناصر وقيم أخرى من إبداعه الثقافي.
- إن التطور التكنولوجي وبروز وسائل التواصل الإجتماعي أثر بعمق على سلوكات الأفراد والعائلات والفئات الإجتماعية (كوحدات استهلاكية) وعلى القيم التي تحدد ثقافة ونمط الاستهلاك في العرس.
- تعتبر قاعة العرس فضاء مغلق يعيد إنتاج نفسه، وإنتاج علاقات مختلفة، نجد أن الأفراد يخضعون لأحكامها احتراما لسلطتها وقداستها الزمنية والمكانية.

- ما نلاحظه أن الزواج يقوم على مجموعة من الأنساق الإجتماعية، فنجد نسق القرابة والنسق الديني والنسق القانوني والنسق الثقافي والإجتماعي.
- لباس العروس أو التصديرة طقس يسمح لها بإعادة تملّكها لجسدها، لأنها في هذا الفضاء تخرج من كل القيود الإجتماعية المفروضة على الجسد الأنثوي.
- الموسيقى هي عبارة عن ثقافة شفوية، ولغة التعبير العالمية فهي جزء من حضارتنا لكنها ليست منطوقة وإنّما منغمة، بحيث تنشأ علاقة بين الأنغام بطريقة تُسيّر الأذن وتسعدها مما يدفع الحضور إلى الإندماج والرقص في إحتفالية العرس.
- فضاء العرس يعتبر مجالاً إستراتيجيا يسمح للمرأة بإنتاج مكانتها ووضعها الإجتماعي.
- يعتبر فضاء نسوي تنفيسي وترفيهي.
- تؤدي معظم الفتيات في العرس فعلا ترويضيا للجسم مع طول خطوط الإستهلاك من خلال قبول الأدوار وتكرارها، مما يكسبها الاعتراف الإجتماعي.
- الطقوس الممارسة في إحتفالية العرس تخلق تمايز إجتماعيا تسعى كل العائلات الوصول إلى هذه المرتبة.

المراجع:

- ابن القيم الجوزية، (2001)، الطب النبوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت.
- أحمد زايد، (2001)، التغير الإجتماعي، مكتبة الأنجلو مصرية، ط2، القاهرة، مصر.
- بيار بونت وميشال إيزار، (2011)، معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2.
- الترمانيتي عبد السلام، (1984)، الزواج عند العرب في الجاهلية، عالم المعرفة، الكويت.

- جغلول عبد القادر، (1973)، المرأة الجزائرية، تر، سليم قسطون، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت.
- جودة بن جابر، (2004)، علم النفس الإجتماعي، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، عمان.
- الجوهري محمد، (1988)، علم الفلكلور دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- حسن السعاتي سامية، (1981)، :الاختيار للزواج والتغير الإجتماعي، دار النهضةالعربية للطباعة والنشر، بيروت.
- السليماني أحمد، (د.س)، تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- سيغالان مارتين، (د.س)، الطقوس والطقوسيات المعاصرة من ذاكرة الأمثروبولوجيا إلى الممارسات (دور كهايم، موس، دوغلاس، سنتليفر)، ترجمة ميلود حكيم، دار النضال، لبنان، بيروت.
- شبل مالك، (2007)، الجنس والحريم روح السراري، ترجمة إزارو عبد الله،إفريقيا الشرق، المغرب.
- طوالبي نور الدين، (1988)، الدين والطقوس والتغيرات، ترجمة وجيه البعيني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- عبد الباسط حسن، (1964)، التغير الإجتماعي في المجتمع الاشتراكي، مكتبة القاهرة الحديثة، مصر.
- عبد العزيز صالح، (1972)، الصحة النفسية للحياة الزوجية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- عمرو رضا كحالة، (1985)، سلسلة بحوث اجتماعية– الزواج –، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- فوزية ذياب، (1980)، القيم والعادات الإجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الإجتماعية، دار النهضة، بيروت.
- قشي فاطمة الزهراء، (2007)، الزواج والأسرة في قسنطينة في القرن 18، دار القصبة للنشر.

- مجموعة من الباحثين، (د.س)، الأسرة والطفولة - دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية، دار المعرفة الجامعية، مصر، الإسكندرية، ط1.
- محمد الجوهري، (2002)، مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، جامعة القاهرة، ط1.
- محمد صلوح الأخرس، (1976)، تركيب العائلة ووظائفها – دراسة ميدانية لواقع العائلة في سوريا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.
- محمد عابد الجابري، (1998)، العولمة والهوية الثقافية عشر أطروحات، المستقبل العربي، ع 228، فبراير.
- محمد عبده محجوب، (1981)، الأنثروبولوجيا ومشكلات التحضر، الكتاب الثاني، دراسات حقلية في المجتمع المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية.
- محمد محدة، (1994)، الخطبة والزواج، ج1، مطبعة شهاب، ط2، باتنة.
- مسعودة كسال، (1986)، مشكلة الطلاق في المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- مصطفى الخشاب، (د.س)، علم الاجتماع ومدارسه، دار الكتاب الثاني المدخل غلى علم الاجتماع.
- ناي مالوري، (2009)، الدين والأسس، تر: هند عبد الستار، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان.
- Dib Marouf Chafika, (1984), Fonction de la dot dans la Cité Algérienne, Alger, OPU.
- Marcel Mauss, (1989), Essai sur le don, 3ème édition, PUF, quardrige.
- Maurice Godelier, (1996), L'énigme du don, Paris, Fayard.
- Van Gennep Arnold, (1909), Les rites de passage, Paris, Nourry.